الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحفيظ بالوصوف ـميلةـ
كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المستوى: السنة الأولى ماستر

السداسي: السادس

المادة: تاريخ الأدب العربي ـأعمال موجهةـ

الأستاذ: سميرة بوجرة

تجديد أبو نواس في شكل ومضامين القصيدة العربية

النص رقم 1

دَعِ الأَطـــلالَ تَســـفيها الجَنـــوبُ ... وَتُبلـــي عَهـــدَ جِـــدَّتِها الخُطـــوبُ
وَخَـــلِّ لِراكِـــبِ الوَجنـــاءِ أَرضـــاً ... تَخُـــبُّ بِهـــا النَجيبَـــةُ وَالنَجيـــبُ
بِـــلادٌ نَبتُهـــا عُشَـــرٌ وَطَلـــحٌ ... وَأَكثَـــرُ صَـــيدِها ضَـــبعٌ وَذيـــبُ
وَلا تَأخُـــذ عَـــنِ الأَعـــرابِ لَهـــواً ... وَلا عَيشـــاً فَعَيشُـــهُم جَـــديبُ
دَعِ الأَلبـــانَ يَشـــرَبُها رِجـــالٌ ... رَقيـــقُ العَـــيشِ بَيـــنَهُمُ غَريـــبُ
إِذا رابَ الحَليـــبُ فَبُـــل عَلَيـــهِ ... وَلا تُحـــرَج فَمـــا فـــي ذاكَ حـــوبُ
فَأَطيَـــبُ مِنـــهُ صـــافِيَةٌ شَـــمولٌ ... يَطـــوفُ بِكَأسِـــها ســـاقٍ أَديـــبُ
أَقامَـــت حِقبَـــةً فـــي قَعـــرِ دَنٍّ ... تَفـــورُ وَمـــا يُحَـــسُّ لَهـــا لَهيـــبُ
كَـــأَنَّ هَـــديرَها فـــي الـــدَنِّ يَحكـــي ... قِـــراةَ القَـــسِّ قابَلَـــهُ الصَـــليبُ
تَمُـــدُّ بِهـــا إِلَيـــكَ يَـــدا غُـــلامٍ ... أَغَـــنُّ كَأَنَّـــهُ رَشَـــأٌ رَبيـــبُ
غَذَتـــهُ صَـــنعَةُ الـــداياتِ حَتّـــى ... زَهـــا فَزَهـــا بِـــهِ دَلٌّ وَطيـــبُ
يَجُـــرُّ لَـــكَ العِنـــانَ إِذا حَســـاها ... وَيَفـــتَحُ عَقـــدُ تَكَّتِـــهِ الـــدَبيبُ
وَإِن جَمَّشـــتُهُ خَلَبَتـــكَ مِنـــهُ ... طَرائِـــفُ تُســـتَخَفُّ لَهـــا القُلـــوبُ
يَنـــوءُ بِرِدفِـــهِ فَـــإِذا تَمَشّـــى ... تَثَنّـــى فـــي غَلائِلِـــهِ قَضـــيبُ

ديوان أبي نواس برواية الصولي 69، 70.

شرح المفردات:

تَسفيها: تذري عليها التراب.

الخطوب: الحوادث

الوَجناءِ: الناقة الشديدة.

تخب: من الخبب وهو نوع من السير

النجيبة: الناقة. النجيب: البعير.

العُشَرٌ وَالطَلَحٌ: شجر من عظام أشجار البادية، له صمغ حلو ترعاه الإبل.

رابَ الحَليبُ: إذا خثر.

حوبٌ: إثم

الشَمولٌ: الخمر.

الرَشَأ: الغزال.

الرَبيبُ: المربَّى.

الدايات: جمع داية: وهي المربية

الدبيب: التحريك.

وجمشته: التجميش: المغازلة ومداعبة النساء.

غَلائِلِهِ: جمع غلالة وهو الثوب الذي تشد به المرأة على عجيزتها تحت إزرها تضخم به عجيزتها.

النص رقم 2

دَع عَنكَ لَومي فَإِنَّ اللَومَ إِغراءُ ... وَداوِني بِالَّتي كانَت هِيَ الداءُ
صَفراءُ لا تَنزَلُ الأَحزانُ ساحَتَها ... لَو مَسَّها حَجَرٌ مَسَّتهُ سَرّاءُ
مِن كَفِّ ذاتِ حِرٍ في زِيِّ ذي ذَكَرٍ ... لَها مُحِبّانِ لوطِيٌّ وَزَنّاءُ
قامَت بِإِبريقِها وَاللَيلُ مُعتَكِرٌ ... فَلاحَ مِن وَجهِها في البَيتِ لَألأُ
فَأَرسَلَت مِن فَمِ الإِبريقِ صافِيَةً ... كَأَنَّما أَخذُها بِالعَينِ إِغفاءُ
رَقَّت عَنِ الماءِ حَتّى ما يُلائِمُها ... لَطافَةً وَجَفا عَن شَكلِها الماءُ
فَلَو مَزَجتَ بِها نوراً لَمازَجَهُ ... حَتّى تَوَلَّدُ أَنوارٌ وَأَضواءُ
دارَت عَلى فِتيَةٍ دانَ الزَمانُ لَهُم ... فَما يُصيبُهُمُ إِلّا بِما شاؤوا
لِتِلكَ أَبكي وَلا أَبكي لِمَنزِلَةٍ ... كانَت تَحُلُّ بِها هِندٌ وَأَسماءُ
حاشا لِدُرَّةَ أَن تُبنى الخِيامُ لَها ... وَأَن تَروحَ عَلَيها الإِبلُ وَالشاءُ
فَقُل لِمَن يَدَّعي في العِلمِ فَلسَفَةً ... حَفِظتَ شَيئاً وَغابَت عَنكَ أَشياءُ
لا تَحظُرِ العَفوَ إِن كُنتَ اِمرَأً حَرِجاً ... فَإِنَّ حَظرَكَهُ في الدينِ إِزراءُ

ديوان أبي نواس برواية الصولي، ص 49، 50.

شرح المفردات:

الدّاءُ: إن إدمان الخمر وما تهيجه في النفس من الرغبة الملحة في شربها هو نفسه داء يُتداوى منه بالشرب.

السَرّاءُ: النعمة

حِرٍ: الحر بالكسر هو فرج المرأة

لَألأُ: بريق

إغفاء: أي أنها تأثر على العقل فتصيبه حالة تشبه حالة الإغفاء

جَفا: ارتفع

حَظرَكَهُ: حظرك إياه

الإزراء: التهاون بالشيء واحتقاره

المطلوب: كيف يتجلى تجديد أبي نواس في القصيدة العبية من خلال النموذجين السابقين؟

الإجابة:

1. تعريف الشاعر: الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكميّ بالولاء، أبو نواس. (146هـ-198هـ/763م-813م) شاعر العراق في عصره. ولد في الأهواز (من بلاد خوزستان) ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، فمدح أميرها الخصيب، وعاد إلى بغداد فأقام إلى أن توفي فيها. كان جده مولى للجراح بن عبد الله الحكمي، أمير خراسان، فنسب إليه . وفى تاريخ ابن عساكر أن أباه من أهل دمشق، من الجُند، من رجال مروان بن محمد، انتقل إلى الأهواز فتزوج امرأة من أهلها اسمها جلبان فولدت له ولدين أحدهما أبو نواس. قال الجاحظ: ما رأيت رجلا أعلم باللغة ولا أفصح لهجة من أبي نواس. وقال أبو عبيدة: كان أبو نواس للمحدثين كامرئ القيس للمتقدمين .وأنشد له النظَّام شعراً ثم قال: هذا الذي جمع له الكلام فاختار أحسنه .وقال كلثوم العتابي: لو أدرك أبو نواس الجاهلية ما فضل عليه أحد. وقال الإمام الشافعي: لولا مجون أبي نواس لأخذت عنه العلم. وحكى أبو نواس عن نفسه قال: ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب. فما ظنك بالرجال؟ وهو أول من نهج للشعر طريقته الحضرية وأخرجه من اللهجة البدوية. وقد نظم في جميع أنواع الشعر، وأجود شعره خمرياته. له (ديوان شعر وديوان آخر سمى الفكاهة والاستئناس في مجون أبي نواس.

2. التجديد في شكل القصيدة العربية عند أبي نواس: يعد أبو نواس من أبرز الشعراء العباسيين، الذين تركوا بصمتهم على ديوان الشعر العربي القديم، ومس تجديد الشاعر في شكل القصيدة العربية البنية، أي بنية القصيدة العربية. وكان قبل ذلك ابن قتيبة قد فصل في بناء القصيدة العربية ـ قصيدة المدح ـ حسب التقاليد الفنية الموروثة، مستخلصاً منهجاً من اطلاعه على الموروث الجاهلي المروي، ويرى ابن قتيبة أن القصيدة العربية تبدأ بذكر الربع والوقوف على الديار وبكائها، ثم وصل ذلك بالنسيب وما يتعلق به دخل بعد ذلك في المديح، والمجيد من الشعراء من سلك هذه المسالك، وهذا ما يمكن أن نسميه ببنية القصيدة العربية.

استهدف التجديد عند أبي نواس في بينة القصيدة المقدمة الطللية، فقد رفض الشاعر الوقوف على الأطلال وبكائها اقتداءً بالشعراء الأوائل، وأكثر من ذلك كان يسخر من الأطلال ويرى في بكائها سذاجة وتخلف، وهذا ما نفهمه من قوله في النص الأول:

دَعِ الأَطـــلالَ تَســـفيها الجَنـــوبُ وَتُبلـــي عَهـــدَ جِـــدَّتِها الخُطـــوبُ

وقد ربط الشاعر البكاء على الأطلال بحياة البادية عند العرب، تلك الحياة التي يراها بدائية، مقارنة بالحياة التي يحياها هو في العصر العباسي، وهي حياة الحواضر والترف واللهو، يقول في النص الأول:

وَخَـــلِّ لِراكِـــبِ الوَجنـــاءِ أَرضـــاً تَخُـــبُّ بِهـــا النَجيبَـــةُ وَالنَجيـــبُ

بِـــلادٌ نَبتُهـــا عُشَـــرٌ وَطَلـــحٌ وَأَكثَـــرُ صَـــيدِها ضَـــبعٌ وَذيـــبُ

وَلا تَأخُـــذ عَـــنِ الأَعـــرابِ لَهـــواً وَلا عَيشـــــاً فَعَيشُـــــهُم جَـــــديبُ

نفهم من خلال هذه الأبيات أن الشاعر يجعل من الوقوف على الأطلال وبكائها قرين حياة العربي الذي كان يعيش في الصحراء مع الإبل والناقة ويتلاءم مع البيئة التي هي حياة البادية الجدبة، ولذا رأى أن المقدمة الطللية فقدت مكاناها في القصيدة العباسية التي هي نتاج حضارة مختلفة، ونمط حياة مغاير، فلم تعد هناك خيمة ولا ناقة ولا رحلة، وبالمقابل ولدت ظواهر أخرى جديدة كالحانات والمغنيين والغلمان...

لم يكتف أبو نواس بالدعوة إلى التخلي عن الأطلال وبكائها والسخرية منها، بل استبدل المقدمة الطللية بالمقدمة الخمرية، يقول:

فَأَرسَلَت مِن فَمِ الإبريقِ صافِيَة كَأَنَّمـــا أَخـــذُها بِـــالعَينِ إِغفـــاءُ
رَقَّـت عَـنِ المـاءِ حَتّـى مـا يُلائِمُهـا لَطافَـةً وَجَفـا عَـن شَـكلِها المـاءُ
فَلَـو مَزَجـتَ بِهـا نـوراً لَمازَجَـه حَتّـــى تَوَلَّـــدُ أَنـــوارٌ وَأَضـــواءُ
دارَت عَلـى فِتيَـةٍ دانَ الزَمـانُ لَهُـم فَمـــا يُصـــيبُهُمُ إِلّا بِمـــا شـــاؤوا
لِتِلـــكَ أَبكـــي وَلا أَبكـــي لِمَنزِلَـــةٍ كانَـــت تَحُـــلُّ بِهـــا هِنـــدٌ وَأَســـماءُ
حاشـــا لِـــدُرَّةَ أَن تُبنـــى الخِيـــامُ لَهـــا وَأَن تَـــروحَ عَلَيهـــا الإِبـــلُ وَالشـــاءُ

وفي هذه الأبيات يعلن الشاعر أنه يفضل أن يبكي الخمرة عوض بكاء الأحبة والأطلال من هند وأسماء وغيرهما، ومن هنا جاء تطوير لدلالة الخمر في سياق البنائي للقصيدة العربية في العهد العباسي الأول، فالخمرة أصبحت من المواضيع الشائعة في العصر العباسي فعلى الرغم من وجود الخمرة في العصر الجاهلي وتغني الشعراء بها وحتى في العصر الأموي، إلا أن انتشار الحانات في العصر العباسي وشسوع الغناء والمغنيين أسهم في جعل الخمرة من العادات الشائعة، خاصة مع انفتاح المجتمع العباسي على باق الأجناس، ورفع الرقابة عن الحانات وشاربي الخمر من قبل الخلاقة، الذين هم أنفسهم من عشاقها ومحبيها.

ويعتبر عصر الخلافة العباسية عصر ميلاد المقدمة الخمرية والتي عرفت انتشارا واسعا بحيث يمكننا القول إنها كادت تشكل ظاهرة فنية في بنية القصيدة المركبة وقد ساعد على انتشارها بهذا المستوى، عدة عوامل أهمها ذلك التحول الهائل في البنية الاجتماعية وفي المجال الاقتصادي والثقافي بصورة عامة .وهذه العوامل المختلفة كان لها أثرها الواضح في توظيف الخمر في مقدمات بعض القصائد المركبة ولكن برؤية متطورة، وصياغة فنية مغايرة عن العهدين الجاهلي والأموي

وتتضمن المقدمة الخمرية عند أبي نواس وصف الخمرة أو وصف النشوة التي تحدثها في النفس، ومن ذلك قوله:

دَع عَنـكَ لَـومي فَـإِنَّ اللَـومَ إِغـراءُ وَداوِنـــي بِـــالَّتي كانَـــت هِـــيَ الـــداءُ
صَـفراءُ لا تَنـزِلُ الأَحـزانُ سـاحَتَها لَـــو مَسَّـــها حَجَـــرٌ مَسَّـــتهُ سَـــرّاءُ

يفتتح الشاعر قصيدته بالحديث عن الخمرة، فهو يدع صاحبه إلى عدم لومه، فإن إدمان الخمر وما تهيجه في النفس من الرغبة الملحة في شربها هو نفسه داء يُتداوى منه بالشرب. فهي التي تنسي الهموم وتزيح الغمة وتجعل شاربها في سعادة ونعمة. وقد روي عن مناسبة هذه القصيدة أن أبا نواس صحب في صباه إبراهيم النظام ثم افترقا وكان النظام خلال ذلك قد اعتنق مبادئ المعتزلة وصار على رأس فرقة منهم، فلما التقيا بعد هذا دعا النظام النواسي إلى اعتناق مذهبه ولامه على شرب الخمر، ومجاهرته بالعصيان، وخوفه من عاقبة ارتكابه للكبائر لأن مرتكب الكبيرة في رأي المعتزلة مخلد في النار فعرض به النواسي في هذه القصيدة. ومن هنا نجده في آخر القصيدة بتوجه إلى النظام بقوله:

فَقُـل لِمَـن يَـدَّعي فـي العِلـمِ فَلسَـفَةً حَفِظـتَ شَـيئاً وَغابَـت عَنـكَ أَشـياءُ

وهذر رد من أبي نواس على دعوة النظام له بالتوبة والإقلاع عن الخمرة، ويفهم منه كذلك أن الشاعر واع بم يفعله، وأن اعتناق مذهب كلامي والمعرفة ببعض الأمور لا يعني البتة أن الإنسان بمقدوره أن يحيط بالمعرفة كلها فذلك شبه مستحيل.

يقول أبو نواس وهو يتحدث عن سقاية الخمرة، ومقدمها:

مِـن كَـفِّ ذاتِ حِـرٍ فـي زِيِّ ذي ذَكَـر لَهـــا مُحِبّـــانِ لـــوطِيٌّ وَزَنّـــاءُ
قامَـــت بِإِبريقِهـــا وَاللَيـــلُ مُعتَكِـــر فَـلاحَ مِـن وَجهِهـا فـي البَيـتِ لَألأُ
فَأَرسَـلَت مِـن فَـمِ الإبريـقِ صـافِيَة كَأَنَّمـــا أَخـــذُها بِـــالعَينِ إِغفـــاءُ

وفي هذه الأبيات مزج الشاعر بين المقدمة الخمرية والغزل الماجن، فهو يصف ساقي الخمرة امرأة كان أم من الغلمان، وشكل هذه الخمرة، فهي صافية، ومن شدة صفائها ونورها لا يستطيع إدامة النظر إليها، وهو مضطر إن يكسر نظره عنها لكي لا يصبه إغفاء من شدة نورها.

كما أن الخمرة في عند أبي نواس _حسب هذه الأبيات_ صارت رمزا للحياة الحديثة يشربها ويسلمها زمام نفسه، وهي المشعة التي منها تتولد الأضواء والأنوار في قربها نأي الهموم وراحة النفس.

وخلاصة القول في تجديد أبي نواس في القصيدة العربية، أن الشاعر عدّ من مؤسسي الحداثة الشعرية العربية، خاصة في بنيتها الشكلية، فهو أول من تجرأ وأعاد هندسة القصيدة العربية بحذفه المقدمة الطللية واستبدالها بالمقدمة الخمرية، وتأثر به شعراء لاحقين في العصر العباسي.

3. التجديد في مضمون القصيدة العربية عند أبي نواس: يمكن أن نقسم حداثة أبي نواس الشعرية من ناحية المضامين إلى عنصرين، الأول يتعلق باستحداث غرض شعري جديد، لم يكن موجودا في القصيدة الجاهلية، على الرغم من حضوره كموضوع فيها، وهو غرض

الخمريات، ففي الحديث عن وصف الخمرة وذكر نشوتها عند أبو نواس نجد مرد ذلك يعود الشاعر نفسه، فقد تعشق فنه وأخلص له ولذلك نجده يبدع ويجدد في أكثر من ناحية فكل ما له علاقة بالخمر أشبعه النواسي تصويرا ووصفا استمع إليه يتحدث وهو يصف حاله كيف كان يتأمل الكأس هي المعشوقة وليست الخمرة ولكن عينه ترى مالا ترى أعين غيره، فحين يطالع الدارس شعره يجده قد وقف حياته أو كاد على وصف الخمر والتغني بها والتعبير عن حساسه نحوها، ويجده يكاد يتخصص فيها وحدها دون باقي أغراض الشعر فهي مذهبه الشعري، الذي عبّر من خلاله عن كثير من المواضيع والهموم.
يقول الشاعر حول الخمرة في النص الأول:

فَأطيَـــبُ مِنـــهُ صـــافِيَةٌ شَـــمولٌ يَطـــوفُ بِكَأسِـــها ســـاقٍ أديـــبُ
أَقامَـــت حِقبَـــةً فـــي قَعـــرِ دَنٍّ تَفـــورُ وَمـــا يُحَـــسُّ لَهـــا لَهيـــبُ

ويقول في النص الثاني:

دَع عَنـكَ لَـومي فَـإِنَّ اللَـومَ إِغـراءُ وَداوِنـي بِـالَّتي كانَـت هِـيَ الـداءُ
صَـفراءُ لا تَنـزِلُ الأَحـزانُ ساحَتَها لَـو مَسَّـها حَجَـرٌ مَسَّـتهُ سَـرّاءُ

والمطلع على ديوان أبي نواس يجد على خلاف كل الشعراء غرض الخمريات في مقدمة الديوان، وذلك للكم الهائل من القصائد التي خص بها الخمرة، وقد تفنن الشاعر في وصفها، فقال في النص الأول:

أَقامَـــت حِقبَـــةً فـــي قَعـــرِ دَنٍّ تَفـــورُ وَمـــا يُحَـــسُّ لَهـــا لَهيـــبُ
كَـــأَنَّ هَـــديرَها فـــي الـــدَنِّ يَحكـــي قِـــراةَ القَـــسِّ قابَلَـــهُ الصَـــليبُ

وقال في النص الثاني:

قامَـــت بِإِبريقِهـــا وَاللَيـــلُ مُعتَكِـــر فَـــلاحَ مِـــن وَجهِهـــا فـــي البَيـــتِ لَألأَ
فَأَرسَـلَت مِـن فَـمِ الإِبريـقِ صـافِيَة كَأَنَّمـــا أَخـــذُها بِـــالعَينِ إِغفـــاءُ
رَقَّـت عَـنِ المـاءِ حَتّـى مـا يُلائِمُهـا لَطافَـــةً وَجَفـــا عَـــن شَـــكلِها المـــاءُ
فَلَـو مَزَجـتَ بِهـا نـوراً لَمازَجَـه حَتّـــى تَوَلَّـــدُ أَنـــوارٌ وَأَضـــواءُ

وكان الشاعر يصف ساقي الخمرة أو مقدمها، يقول من النص الأول:

تَمُـــدُّ بِهـــا إِلَيـــكَ يَـــدا غُـــلامٍ أَغَـــنُّ كَأَنَّـــهُ رَشَـــأٌ رَبيـــبُ
غَذَتـــهُ صَـــنعَةُ الـــداياتِ حَتّـــى زَهـــا فَزَهـــا بِـــهِ دَلٌّ وَطيـــبُ

يَجُـــرُّ لَـــكَ العِنـــانَ إذا حَســـاها وَيَفـــتَحُ عَقـــدُ تَكَّتِـــهِ الـــدَبيبُ
وَإن جَمَّشـــتُهُ خَلَبَتـــكَ مِنـــهُ طَرائِـــفُ تُســـتَخَفُّ لَهـــا القُلـــوبُ
يَنـــوءُ بِرِدفِـــهِ فَـــإذا تَمَشّـــى تَثَنّـــى فـــي غَلائِلِـــهِ قَضـــيبُ

وهنا يتغزل بالغلام الذي سقاه الخمرة ويصفه، ولعل هذا كله من المواضيع التي لم تكن موجودة في الشعر العربي قبل أبي نواس.

العنصر الثاني الذي يتعلق بتعدد المواضيع التي خاض فيها الشاعر أبي نواس في مراحل مختلفة في حياته، فحين كان يحيا حياة اللهو والمجون كان كثير الاحتكاك بالعناصر غير العربية، وهو نفسه شاعر مولد، نجم عن ذلك بروز نزعة الشعوبية في شعره، التي جعلته يسخر من الجنس العربي ونمط حياة هذا الأخير، قال:

وَلا تَأخُـــذ عَـــنِ الأَعـــرابِ لَهـــواً وَلا عَيشـــاً فَعَيشُـــهُم جَـــديبُ
دَعِ الأَلبـــانَ يَشـــرَبُها رِجـــالٌ رَقيـــقُ العَـــيشِ بَيـــنَهُمُ غَريـــبُ
إِذا رابَ الحَليـــبُ فَبُـــل عَلَيـــهِ وَلا تُحـــرَج فَمـــا فـــي ذاكَ حـــوبُ

كما كان أبو نواس واسع الثقافة جمع فيها بين الشعر وعلم الكلام والفلسفة والدين، وقد ختم مسيرته الشعرية بالزهد والتوبة والرجوع إلى الله. وقد جدد أبو نواس في الصورة الشعرية ومضامينها، فكان واسع الخيال كثير الرموز، يميل إلى التجريد والفلسفة. وهذا التجديد في المضامين أتبعه الشاعر تجديد في القوالب الشعرية، فقد احتفى كغيره من الشعراء المحدثين بالاستعارة والبديع، مما أضفى على قصائده زخرفة لغوية لم تكن معروفة من قبل، شبيهة بالزخرفة الاجتماعية والهندسية للعصر العباسي.